

أضواء البيان

@ 182 . قوله تعالى : { وَإِذْ آتَيْنَاهُمُ الْإِنْسَانَ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ
بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا } . بين جل وعلا في هذه الآية
الكريمة : أنه إذا أنعم على الإنسان بالصحة والعافية والرزق أعرض عن ذكر الله وطاعته ،
ونأى بجانبه : أي تباعد عن طاعة ربه . فلم يمثل أمره ، ولم يجتنب نهيه . .
وقال الزمخشري : أعرض عن ذكر الله كأنه مستغن عنه ، مستبد بنفسه . { وَنَأَىٰ
بِجَانِبِهِ } تأكيد للإعراض . لأن الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه . والنأي بالجانب
: أن يلوي عنه عطفه ، ويوليه طهره ، وأراد الاستكبار ، لأن ذلك من عادة المستكبرين .
واليؤوس : شديد اليأس ، أي القنوط من رحمة الله . .

وقد أوضح جل وعلا هذا المعنى في مواضع كثيرة من كتابه ، كقوله (في سورة هود) {
وَلَئِنَّ أَزْوَاجَ الْإِنْسَانِ لَمِنَ الرَّحِمَةِ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِذْ
لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنَّ أَزْوَاجَهُ لَمِنَ الرَّحِمَةِ بَعْدَ ضَرْبِ آءٍ مَسَّتْهُ
لَيَاقُورٌ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِذْ لَفَرِحْتُ فَخُورٌ } ، وقوله في (
آخر فصلت) : { لَئِنْ يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ
فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ وَلَئِنَّ أَزْوَاجَهُ لَمِنَ الرَّحِمَةِ مِّنْ بَعْدِ ضَرْبِ آءٍ
مَسَّتْهُ لَيَاقُورٌ هَٰذَا لِي وَمَا أَطُنُّ السَّاعَةِ قَائِمَةٌ وَلَئِنَّ
رُجُوعَتِي إِلَىٰ رَبِّي إِنْ لِّيَ عِنْدَهُ لِلْأَحْسَنِ فَلَئِنَّكَ لَإِنَّ السَّاعَةِ
كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَئِنَّكَ لَمِنَ الْهَالِكِينَ عَذَابٌ غَلِيظٌ وَإِذْ
آتَيْنَاهُمُ الْإِنْسَانَ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ
فَذُودُ دُعَاءِ عَرِيضٍ } ، وقوله : (في سورة الروم) { وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ
دَعَوْا رَبَّهُمْ مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذْ أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً
إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } ، وقوله فيها أيضاً : { وَإِذْ
أَزْوَاجُ النَّاسِ رَحِمَةٌ فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا
كَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ } ، وقوله (في سورة يونس) : { وَإِذَا
مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا
كَشَفْنَا عَنْهُ غُصْرَهُ وَجَدَ رَحْمَةً كَآلَ لِّمٍّ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ مَسَّهُ } ، وقوله
(في سورة الزمر) : { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ
ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ }

وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّیُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ { ، وقوله فيها أيضاً : {
فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا زِلَازًا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْ بَعْدِ
قَالَ إِنَّمَا أَوتِيتُهُُ عَلَیْ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَکِنِّیْ أَكْثَرَهُمْ لَا
یَعْلَمُونَ } . إلى غیر ذلك من الآيات . .

وقد استثنى □ من هذه الصفات عباده المؤمنین فی قوله (فی سورة هود) : { إِلَّا
الَّذِینَ صَبَرُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِکَ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ کَبِیرٌ } كما تقدم